التشيع لمعاوية

في عهد العباسيين

بقلم الاديب حبيب زيات

كان مقتل الخليفة عثمان بن عفان اول ما شقّ الألفة في الاسلام، وحلّ عُرى الوحدة والجماعة، ودعا الى التحيّز والتحزّب في الامصار؛ فتباينت الاهواء والبدع، وتعدّدت الفرق والشيع، وتميّز كل قطر بقرعته ونحلته. ولذلك لما اراد محمد بن علي بن عبدالله بن العباس توجيه دُعاته الى الامصار، قال لهم، في ما حكاه ابن الفقيه في كتاب البلدان، (١ وعنهُ نقل البشاري في احسن التقاسيم؛(٢ وياقوت في معجم البلدان؛(٣ ورواية ابن الفقيه اتم واصح. قال:

«اما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده. واما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف تقول: «كف عبد الله المقتول، ولا تكفن عبدالله القاتل.» واما الجزيرة فحرورية مارقة، واعراب كعلاج، ومسلمون في اخلاق النصارى. واما اهل الشام فليس يعرفون الا آل ابي سفيان وطاعة بني مروان. عداوة راسخة وحِقد متراكم. واما مكة والمدينة فغلب عليهما ابو بكر وعمر. ولكن عليكم باهل خراسان فان هناك العدد الكثير والجَلَد الظاهر.»

اما كون اهل الشام شيعة آل ابي سفيان ومروان، لا يعرفون سواهم، فهو ما لا حاجة الى التنبيه عليه لاستفاضته واشتهاره. ولكن قد خفي علينا كثير من انباء هذه المداورة الراسخة التي كانوا يناجزون اعداء بني امية ومناوئيهم والخوارج عليهم. فمن اطرف ما وقفت عليه من نوادر اخبارها، بل من اغرب مظاهرها وآثارها، ما ورد في ترجمة ابي الحسن المدائني بروايته. قال:

«امر المأمون احمد بن يوسف بادخالي عليه. فلما دخلت ذكر علي بن ابي طالب، عليه السلام، فحدثته فيه باحاديث. الى ان ذكر لمن بني امية لهُ

---

١) ص: ٣١٥ ٢) ص: ٢٩٣-٢٩٦ ٣) ج: ٣ ص: ٦١٢

فقلت: حدثني ابو سلمة المثنى بن عبدالله ، اخو محمد بن عبدالله الانصاري، قال: قال لي رجل: كنت بالشام فجعلت لا اسمع احداً يسمي عليا ولا حسناً ولا حسيناً . وانما اسمع معاوية ويزيد والوليد . قال فررت برجل جالس على باب داره، وقد عطشت ، فاستسقيته . فقال: «يا جارية اسقه.» فقلت: «أستيتَ حسناً؟» فقال: «اي والله ان لي اولاداً اسماؤهم حسن وحسين وجعفر . فان اهل الشام يسمون اولادهم باسماء خلفاء الله . ولا يزال احدنا يلعن والده ويشتمه . وانا سميت اولادي باسماء اعداء الله . فاذا لعنت انا اللعن اعداء الله.» فقلت له: «ظننتك خير اهل الشام ، واذا جهنم ليس فيها شر منك» (١ ولا يخفى ما في استقراء نظائر هذه النادرة من الفائدة في تمثيل العصر الشامي في اخلاقه وعاداته ونوادره ونكاته .

وقد يغلب على الظن ان حب معاوية وآله كان منحصراً في الشام وحده لم يتجاوز قط الى العراق، موطن الشقاق والنفاق ، في قول الحجاج ، وان دولة بني العباس ، لما قضت على بني امية وتتبعت رجالهم وآثارهم قتلاً وتشريداً وتخريباً ، نسخت ذكرهم من الاندية والابنية ، واستأصلت اولياءهم ودعاتهم من المدن والامصار ما خلا الاندلس . ولكن هنالك ادلة كثيرة على ان التشيع للامويين لم يزل بزوال ملكهم ، بل ظل يكمن تارة ويظهر اخرى ، حسب تشدد السلطان في اقتفاص آثاره ، واقتناص انصاره . وهذه بغداد نفسها ، مع انها كانت مقر اعدائهم وعاصمة الخلافة العباسية ، لم تخلُ في وقت من متحيز للعثمانية والاموية ومجاهر بفضائل معاوية . وقد نُقل عن ابي عمر الزاهد من ائمة اللغة واكابر اهلها في بغداد حيث كانت وفاته سنة ٣٤٥ هـ انه كان قد جمع جزءاً في فضائل معاوية فكان لا يمكن احداً من السماع منه حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء . (٢

وقد كانت شيعة علي في العراق ولاسيما بغداد توأم كل من دافع عن عثمان ابن عفان ولم يتبرأ من الشيخين ، وتلعن معاوية وسائر الامويين . ولذلك لما دخل

١) ياقوت: ارشاد الاريب ، ج : ٥ ، ص : ٣١١

٢) ارشاد الاريب ج: ٧ ، ص: ٢٩

الجاحظ الشاعر البصري ببغداد في ايام جعفر المتوكل، وكان قد كتب في حمله اليه ، انشده :

ليس لي ذنب ، الى الشيعة ، الا خلّتين :
حبّ عثمان بن عفّانَ ، وحب العُمرين (١)

وفي ضدّ ذلك كان فريق من اهل السنّة يصرّحون بتفضيل معاوية ويبالغون في تقدير فضائله ، ويعدون رافضياً كل من لم يرَ رأيهم فيه ولن كان سنياً . وقد حكى البشّاري ، صاحب احسن التقاسيم ، نكتة حرية بالذكر في هذا الباب ، قال:

« كنت يوماً بجامع واسط واذا برجل قد اجتمع عليه الناس ، فدنوت منه ، فاذا هو يقول: حدثنا فلان عن فلان عن النبي (صلعم) « ان الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه الى جنبه ، ويغلّفه بيده (اي يطيّبه بالغالية ويمطره) ثم يجنود على الخلق كالعروس.» فقلت له: «بماذا ؟ بمحاربته عليًا ؟ رضي الله عن معاوية ! وكذبت انت يا ضالّ.» فقال: «خذوا هذا الرافضي.» فاقبل الناس عليّ. فعرفني بعض الكتبة فكركهم عني » (اي دفعهم وردّهم)(٢)

ومعلوم ما في هذا الشاهد ، والذي تقدمه من حكاية ابي عُمر الزاهد ، من الدلالة الكافية على ما كان للتشيّع لمعاوية في العراق من الشيوع والانتشار ، حتى كان يُجاهر به بمسمع من الخلفاء العباسيين في حلقات الدرس ومجالس القُضاة دون اقل انكار . وقد اشتهر بالمغالاة فيه من اهل السنة الحنابلة خصوصاً . وهو ما اشار اليه البشاري حيث قال: « حنابلة العراق غالية مشبهة يفرطون في حب معاوية ويروون في ذلك اخبارًا منكرة. بجاحظة الجبهارية »(٣) على انهم لم ينفردوا بذلك في العراق وحده بل عُرفوا به ايضاً في ما وراء دجلة في اقاليم الجبال ، اي اصفهان وهمذان والريّ وما اليها من بلاد فارس ، كما حكاه البشاري نفسه في ما رواه عن اهل هذه البلاد وقال: هم « اما غوالي حنابلة يفرطون في حب معاوية. او تجّارية غالية يقطعون بالكفر على الطوائف الحادية »(٤)

---

١) تاريخ بغداد للبغدادي. باريس ٦١٥٢، ص: ٣٦

٢) ص : ٣٦ ٣) ص : ١٢٦ ، حاشية : C ٤) ص : ٣٨٤

وورد له مثل هذا في اخباره عن اليهودية قصبة اصفهان قال: « غوالي حنابلة ». « وفي نسخة اخرى « يغرطون في معاوية »(١ . واتفق له في اصفهان قريب مما اتفق قبلاً في واسط ، وهي نكتة اخرى نثبتها في هذا المقام اشارةً الى الحدّ الذي كان بلغه حب معاوية من التشوّ والإغراق في المصر المجاور لخراسان حيث نشأت الدعوة العباسية . قال:

« في اهل اصفهان بَلَه وغلوّ في معاوية. ووُصف لي رجل بالزهد والتعبد ، فقصدتهُ وتركت القافلة خلفي وبتُّ عندهُ تلك الليلة ، وجعلت اسائلهُ الى ان قلت: «ما قولك في الصاحب؟» (ابن عباد) فجعل يلعنه. ثم قال: «انه اتانا بمذهب لا نعرفه». قلت: «وما هو؟» قال: «يقول: معاوية لم يكن مرسلاً . » قلت: «وما تقول انت ؟» قال: «اقول كما قال الله عزّ وجلّ: «لا نفرق بين احد من رسله». ابو بكر كان مرسلاً ، وعمر كان مرسلاً» حتى ذكر الاربعة. ثم قال: «ومعاوية كان مرسلاً.» قلت: « لا تعقل. اما الاربعة فكانوا خلفاء. ومعاوية كان ملكاً. قال النبي (صلعم): الخلافة بعدي الى ثلاثين سنة ثم تكون ملكاً.» فجعل يشتم عليّ واصبح يقول: هذا رافضي . فلو لم تدركني القافلة لبطشوا بي . ولهم في الباب حكايات كثيرة » (٢

ومن هنا يُعرف كيف تطوّر حب معاوية تدريجاً ، وكيف ان شقيق ام حبيبة بعد ان كان « خال المؤمنين و كاتب وحي رب العالمين » لم يلبث ان صار مرسلاً . ومن الاسف ان البشاري لم ينقل لنا بقية هذه الحكايات الكثيرة التي اشار اليها ، لنقف منها على تاريخ التشيع لمعاوية في تقلباته ودقائقه . ومن الغريب ان التاريخ ، في ما اتصل بنا منه الى اليوم ، لم يتعرض لذكر شيء من هذا التعصب في الاندلس ، مع انه كان مباءة الامويين ومعقل انصارهم. ولا شكّ انه لم يخلُ من داعٍ لهم ومُشيد بحقوقهم وصحة امامتهم . واشهر من عُرف فيه بذلك الامام العلامة ابن حزم الظاهر الصيت ، فقد حُفظ عنه « تشيعه لامراء بني امية ماضيهم وباقيهم بالشرق والاندلس ، واعتقاده لصحة امامتهم وانحرافه عن سواهم من قريش » (٣

١) ص: ٣٨٨-٣٨٩ ٢) ص: ٣٩٩ ٣) ارشاد الاريب ج: ٥ ، ص: ٩٣

بقي ان نرى السبب الذي كان من اجله بعض اهل السنة ، وفي مقدمتهم اتباع الامام احمد بن حنبل ، يفرطون هذا الافراط في حب معاوية ويبالغون في التعصب له ، وهو ما لا يكفي في تعليله ما نُقل من حسن رأي الامام احمد في « صهر الرسول وامينه على وحيه » . ولعلّ هذا التحزّب لم ينشأ في العراق خصوصاً ، ولم يكن الا رجماً لاصدى مبالغات الشيعة في علي ابن ابي طالب ، من باب مقابلة التشيّع بضده ، ومكافأة الخصم بقرنه . ثم امتزجت بذلك الضغائن والحزازات فكان بعض اهل السنة ، كلما انكروا إفراطاً من شيعة علي ، تلقوهم بمثله في معاوية مناظرةً واقتصاصاً . وكل من طالع تاريخ العراق يعلم مبلغ العداء الذي كان مستحكماً بين السنة والشيعة ، وكثرة الفتن والشرور التي كانت تثور دائماً بين الفريقين ، ويجري فيها كل قبيح من سلب ونهب وقتل وإحراق . فلا عجب اذا كان اخصام الشيعة يبالغون احياناً في المجاهرة بكل ما كانوا يعلمون انه يسوء اعداءهم اعتقاده ، ومن ثم لا يبعد ان يكون قسم من المتحزبين لمعاوية ، ولاسيما من العامة والسوقة الذين استدرجتهم البغضاء والاحقاد ، اكثر من الذين تلقوا التشيّع من طريق الاجتهاد والاعتقاد . وقد عثرت في هذا المعنى في مجلد من تاريخ بغداد لابن النجار ، محفوظ في خزانة باريس ، قد ذُكر فيه غلطاً انه للخطيب البغدادي ، على نكتة فريدة تؤيد هذا الرأي اجملها مسك الختام . قال في ترجمة علي بن محمد بن الكيس ابي القاسم ، في رواية عنه :

« اخبرنا ابو بكر احمد بن جعفر بن مالك القطيعي في مسجده قال : سمعت عبدالله بن احمد بن حنبل يقول : كنت أحبو فاخذ ابي بيدي وعبر بي الى الجسر فمضى الى جامع الرصافة . فلما انتهينا اليه رأينا حباباً فيها السويق والسكر والماء المبرد بالثلج ، وخدماً في ايديهم الطاسات يقولون للناس : اشربوا على حب معاوية بن ابي سفيان . قال : فقلت : « يا أبه من معاوية ؟ » فقال : « مولا . قوم بغضوا رجلاً لم يكن الى الطعن عليه سبيل فاحبّوا اعداءه » . قال الشيخ : احفظ هذه الحكاية عن ابن مالك فهذه حكاية عجيبة ظريفة (١

١) باريس ، ٢١٣١ ، ص : ١٦

قلت : واعجب من هذه الحكاية ان يكون لابن ابي سفيان اول مرتي الدول في الاسلام ، وسائس الامم وراعي الممالك في الشام ، مثل هذه المكانة والشهرة الدائمة التي طبقت الامصار والآفاق ، وبعثت على محبته اشباه هؤلاء النلاة في فارس والعراق ، ثم لا يكون حظهُ اليوم في وطنهِ دمشق ، وهي العاصمة التي عقد لها تاج الفخر على هامة العصر ، الا الجفاء والاطّراح والنسيان ، وقلة الكرامة والشيمة والاعوان ، فما احقه فيها بقول ابن حزم :

انا العلق الذي لا عيب فيه ... سوى بلدي، واني غير طاري،
تقرّ لي العراق ومن يليها ... واهل الارض، الّا اهل داري!

أفالون (فرنسة) في ١٣ نيسان ١٩٢٨

الكهرباء ومستقبلها في لبنان

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ، ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

١

لا يزال ملك الكهرباء يمتد يوماً فيوماً ، منذ شعرت الدول بالقوة الهائلة التي يمكن استخراجها من المياه الذاهبة هدراً الى البحر .

إنَّ ما تحويه طبقاتُ الارض من الفحم لمحدود ، وينابيع الكاز في روسية واميركة لا تلبث ان تجفّ ، فمن اينَ لنا بالقوة الحيّة (الميكانيكية) ، ومن اين لنا بالنور والحرارة ان لم نعمد الى استخدام الشلّالات والانهر ، وفيها من القوة الكامنة ما يربو على الاربعمئة والخمسين مليون حصان . فلو توصل العالَم الى استخراج هذه القوّة لتوفّر عليه كل يوم مليون ومائة وخمسة وعشرون الف طن من الفحم . هذا اذا عدّلنا سير الماكنات خمس ساعات في النهار فقط . ونأسف ان يكون ما استخرج من تلك القوة الى اليوم لا يبلغ التسعة والعشرين مليوناً من الاحصنة موزعةً هكذا :

اميركة الشمالية	١٣,٧٠٠,٠٠٠
اميركة الجنوبية	٦٥٠,٠٠٠